
النزاهة تفترض أن
يقدم حكام العرب
استقالتهم

البروفسور عالم المستقبليات المهدي المنجرة

المصداقية والنزاهة تفترض أن يقدم حكام العرب استقالتهم

مرة أخرى وجدنا أنفسنا نجلس في حضرة الدكتور المهدي المنجرة الذي عودنا دائما على تلبية دعوتنا في مجالسته ومحاورته فيما استجد من مواضيع، ولعل أبرز ما خرجنا به في هذا الحوار أن الدكتور المنجرة رفض بشكل قاطع أن يتحدث عن النظام السياسي المغربي لأنه موضوع استهلك ولم يعد هناك ما نضيفه، لكنه في المقابل أطلق صرخة مدوية في وجه الحكام العرب قاطبة لتقديم استقالتهم وإراحة شعوبهم التي ملت من أساليب الحكم المرتبط بالقوى الاستعمارية، وأكد أن ذلك ساهم في تعميق الفجوة بين هؤلاء الحكام وشعوبهم.

لقد عبر المهدي المنجرة عن أسفه لمقتل الشهيدين أحمد ياسين والرنتيسي، ليؤكد أن المقاومة لا ترتبط بأشخاص، بل هي نتاج شعب بكامله، وتألم كثيرا لما يعيشه الشعب العراقي من تقتيل يومي على يد قوات التحالف الإجرامي وحمل المسؤولية للأنظمة العربية التي باركت الهجوم على العراق وتبارك الاحتلال المستمر.

ماذا يقع في الشارع العربي والمغربي؟

الشارع المغربي ومثله الشارع العربي الإسلامي يواجه القمع، وهناك فجوة ما بين إحساسات الشعوب الحقيقية التي تمس بقيمهم وعواطفهم والحكام الذين اختاروا الاستعمار كحليف، إذا هناك عدم انسجام ما بين أحاسيس الشعوب وحكامهم، وهذه الفجوة هي التي ألح عليها منذ ربع قرن، وليس كتحليل سياسي فقط، فهو تحليل حضاري ثقافي، وهو ناتج عن الاستعمار الثقافي، فلا يمكن أن نتقدم حتى نتحرر ثقافيا، وهو الذي يساعدنا على التحرر من مركب النقص، وأظن أننا اليوم نواجه تحالفا ضمنيا وغير مقصود ما بين الحكام والديكتاتوريات داخل بلداننا ونخبة مثقفة تتكلم باسم المجتمع المدني، لأنه داخل الجهاز هناك الأحزاب السياسية، وهي تكون جزءا من الحكم، وهناك تكامل وتعاضد ما بين الاثنين، ومن يدفع ثمن كل هذا هي الشعوب، وفي الحقيقة هناك تحالف ثلاثي، من القيادة العربية المسلمة وجزء كبير مما يسمى بالنخبة الثقافية، وممثلي الاستعمار الامبراطورية الغربية بتعاون مع الصهيونية، ولهذا فالشعوب عليها أن تحارب ثلاثة قوى في نفس الوقت، وإذا زدنا أن هناك فقر مدقع والأمية وغياب وسائل الاتصال الحقيقية، نجد أن الإشكالية أصبحت صعبة، وهي التي تؤدي إلى ما يسمى بالإرهاب والانتفاضات، ولم يبق مكان للحوار والنقاش لأن التجربة أثبتت أن هذه الحلول أدت إلى الفشل التام في القضية الفلسطينية وقضية العراق، وهي الإشكالية الأساسية التي يواجهها الشارع.

هل تعتقدون أن سياسة النظام ساهمت في تصدير الإرهاب إلى الخارج؟

والله سؤالكم صعب جدا، فأنا باحث، وأول شروط البحث العلمي هو وجود معطيات ولما ندخل لباب ما يسمى بالإرهاب، فنجد أنه حتى الآن ليس هناك مفهوم موحد عما هو الإرهاب شرعيا وقانونيا، واجتماعيا ونفسانيا.. الخ، وكل ما هناك قرارات فرضتها أمريكا على الأمم المتحدة، وفرضتها في قوانين عدة بلدان كنسخة من القانون الأمريكي، ومن جهة أخرى الأوضاع تختلف بحسب الظروف، فإذا أخذنا الحركة الفلسطينية أو المقاومة العراقية بالنسبة للأمريكيين وبعض الدول الغربية فهذا إرهاب، أما بالنسبة لنا فهذه حركة تحرير وهي مقاومة، لذلك صعب علي أن أضع أي تحليل في هذا الميدان، وخاصة ما حصل في المغرب، كإنسان ونظرا لتكويني الديني والفلسفي فأنا ضد العنف وضد قتل الأبرياء، ولكن هناك شيء آخر وهي الانتفاضة القادمة بلا شك، حيث سيأتي وقت لن تقبل فيه الشعوب مزيداً من القهر والظلم.

إذن المسؤول هو النظام السياسي؟

هذا المناخ الذي نتكلم عليه والذي يؤدي إلى الأشياء التي نتحدث عليها ليس عامل عنصر واحد، وهو نتاج تراكمات لعدة عناصر بعضها أجنبي، وبعضها داخلي، ولا يمكن أن يأتي الإنسان بحل ويعتبره نموذجيا، وكما قلت في الأول أن هذا الإرهاب هو نسبيا على علاقة بالفجوة التي تزداد يوما بعد يوم ما بين الشعوب وحكامهم، ولاشك أن هناك علاقة متينة بين الطرفين.

هل ما حصل في الحسيمة يدخل في إطار الإهانة التي تتحدثون عنها؟

أظن أن ما حصل في الحسيمة هو قضاء وقدر، ولكنه في نفس الوقت برهن أن الشعوب والجماعات مطالبة بالنظر إلى الوسائل التي نتوفر عليها، أن تحلل بسرعة الواقع وأن تعتمد على نفسها، وأظن أن ما حصل في الحسيمة أن السكان ومنذ الساعات الأولى فهو أنه يجب عليهم الاعتماد على أنفسهم، واعتمدوا كذلك على الجالية المتواجدة بأوروبا والمنتمية إلى المنطقة والتي وفرت الإمكانيات المادية، وهذا برهن أن هناك نقص من طرف المسؤولين، عكس ما حصل في الستينات حين وقع زلزال أكادير وقتل فيه حوالي ثلاثين ألف مواطن، وكنت آنذاك مديرا للإذاعة، إذ عرف تدخلا سريعا من قبل المسؤولين والتضامن الوطني الواسع ودور الإعلام وخاصة الإذاعة رغم أننا كنا في بداية الاستقلال ولم تكن الكفاءات والوسائل متوفرة، لكن مع ذلك ما يجب التأكيد عليه هو



أنه لم يكن فقط زلزال الحسيمة، ولكن الشعب المغربي كله أحس بالألم وقدم أفضل صور التضامن، وتبين أن هناك شعور مغربي وروح تضامنية واسعة.

ولكن لماذا دائما نربط أي تدخل بالمؤسسة الملكية؟

شخصيا لا علاقة لي بهذه الأشياء، وهذا ليس خوفا مني، ولكن لأنني لا أحب التدخل في تفاسير طويلة وسبق أن قلت فيه الكثير، ومواقفي معروفة من زمان.

كيف تقرؤون عملية تأجيل مؤتمر القمة العربية، ثم العودة إلى الجلوس من جد يد إلى طاولة الجامعة العربية؟

في سنة 1958، أكملت أطروحتي في الدكتوراه بجامعة لندن، وكانت خاصة بالجامعة العربية، وعن تحليل أعمالها خلال العشر سنوات الأولى من إنشاءها منذ سنة 1945 ، وهذه الأطروحة تتضمن أكثر من 600 صفحة، وفي النهاية خلصت إلى أن هذه المؤسسة لم يكن لها مستقبل، وهذا كلام 58، لماذا؟ أولا لأنها ازدادت باقتراح من أنطوني هيدن وذلك في خطاب ألقاه في يونيو 1941، وجاء بالفكرة كوسيلة لتأييد الحلفاء في الحرب العالمية الثانية، ومن جهة أخرى وجد حليفا وهو النحاس باشا، والذي كغيره من مسؤولي العالم الثالث كان له تحالف متين مع الاستعمار، وبالتالي فالقرارات التي كانت تتخذ آنذاك وخاصة ما يخص مساعدة مبادرات تحرير دول المغرب العربي، لم يكن لها تأثير بالغ ولا قيمة لها من الناحية السياسية، وإذا رجعنا إلى المؤتمر الذي تأجل فأنا أقول أن كل الأمور تأجلت منذ إنشاء الجامعة العربية، ولا يمكن أن نتحدث عن مؤسسة دولية مثل الجامعة أو الأمم المتحدة دون أن نعرف أنها مجرد مرآة للعلاقات الموجودة بين الدول المكونة لها، ونظرا كذلك لنوع المسؤولين الموجودين في العالم العربي، وبالتالي من غير الممكن أن تكون لديك مؤسسة أفضل من هذه، إذن ليست هي قضية إصلاح ميثاق الجامعة العربية وندوات حول هذا الإصلاح، فهذا شيء آلي، والمهم هو من يسير هذه المؤسسة وهم مسؤولي العالم العربي، وقد تبين الآن أن هؤلاء غير مسؤولين عن التحديات التي تواجه العالم العربي، فأنت تعتقد أن المشكل مطروح في السيارة ، مع أن الحقيقة هي أن السائق نفسه غير صالح، إذن يجب أن نرجع إلى المنبع، وهي أن العالم العربي يعيش في أزمة من زمان، من خلال التواطئ مع الاستعمار، عدم تمثيل الشعب الحقيقي، غياب الديمقراطية التي تتمثل أساسا في تحرر الشعوب، والنتيجة أنه في كل مرة لدينا مؤتمر قمة نتأخر من جديد ولا نحرز أي تقدم. وللتذكير فقط صدر كتاب قبل أيام حول العراق يؤكد أن أمريكا أخبرت السعودية وحتى قبل أن يعلم وزير خارجية أمريكا عن الهجوم على العراق، إذن هناك تواطئ معروف وبالتالي فالإشكال ليس في المؤسسات أو الأشخاص ولكن في التركيبة الموجودة في العالم العربي.

وأي رسالة توجهونها لشعوب العالم العربي؟

الرسالة أوجهها لنفسي أولا، وكل واحد يجب أن يحترم نفسه وتكون لديه كرامة، وأنا أتحدث منذ عشرين سنة عن الإهانة، وها نحن في الوقت الراهن نعيش هذه الإهانة، ويأتي معها دائما على مستوى المسؤولين نوع من النفاق والمؤلم في الظروف الحالية التي يعيشها العالم العربي هو هذا النفاق الذي تراه من طرف المسؤولين وحتى من طرف ما يسمى بالمجتمع المدني، وهؤلاء الذين كانت لهم مواقف مؤيدة للاستعمار والصهيونية تحولوا بين عشية وضحاها إلى مناضلين يدافعون عن القيم العربية والإسلامية إلى غير ذلك، وذلك نتيجة خوف.

هل تعتقدون أن هذه الإهانة قد تؤدي إلى الانتفاضة؟

لا يمكن أن تؤدي إلى انتفاضة، لأن الانتفاضة موجودة، والإهانة هي التي أوصلتنا إلى ما نحن فيه، والانتفاضة كما

أعني بها، هي أن الناس لا تقبل الواقع كما هو.

كيف ستكون عواقب هذه الانتفاضة؟

عواقب الانتفاضة، هي بحسب الوقت والبلدان، وبحسب مفهوم الانتفاضة، وأظن أن أهم انتفاضة حصلت هي في التركيب العقلاني، الانتفاضة التي نتكلم عليها ليس هي العنف، أو سفك الدماء في الشوارع، هي أولا في طريقة التفكير والتوجيه، والتاريخ سيشكر بوش وبلير لأنهم هم الذين ساهموا في تحرير العالم العربي والإسلامي في العصر الحديث، لماذا؟ لأنه بسبب المبالغة في العنف والاستكبار ومقتل الشعوب العربية تفهمت الإشكالية، والانتفاضة التي أتحدث عليها هي من هذا المستوى، وإذا صار الوعي إلى هذه الدرجة يصعب على القيادة الموجودة في العالم العربي أن تبقى على نفس الحال، وبعضهم يجب أن يستقيلوا، وإذا كانت لديهم ذرة من الكرامة يجب أن يجتمعوا ليقرروا حل مؤسسة ما يسمى بالجامعة العربية والمؤتمر الإسلامي، وطبعا هذا يعني البحث عن قيادات جديدة تقود المرحلة الراهنة وهذا التغيير سيأتي رغم مجهودات الاستعمار للدفاع عن المسؤولين الحاليين.

إذن يجب أن تستقيل الدول القيادات العربية كلها؟

هذه مسؤوليتها، فإذا كانت الديمقراطية، وكانوا نزهاء وصادقين مع أنفسهم وتتلاقى مواقفهم مع مواقف شعوبهم، فهذا ما يجب أن يحصل، ولكن للأسف هذا يقع فقط في البلدان الديمقراطية.

كيف تقبلتم خبر اغتيال الشهيدين أحمد ياسين والرنتيسي؟

مثل ما تقبلت جميع الاغتيالات التي بدأت منذ سنة 1948، ولا ننسى أن الحكام الموجودين الآن في إسرائيل هم الذين بدؤوا ما يسمى حقيقة الإرهاب، وكانوا في البداية مسؤولين عن حركة إرهابية وقتلوا المئات، ثم أنجزوا مذبحة صبرا وشاتيلا وقتلوا الألاف، إذن هذا مسلسل متواصل، ورد الفعل يجب أن يكون في المستوى، كما لا يجب أن ننسى الماضي ولا نمحيه، وما حصل الآن هو نتاج لتخاذل المسؤولين وقبولهم بكل مخططات إسرائيل، وأظن أن المسؤولين عن أوسلو وعن اتفاقيات الخيانة الكبرى لفلسطين بما فيها منظمة تحرير فلسطين، هو السبب المباشر فيما يحدث الآن.

كرجل مستقبليات هل تثقون في المقاومة العراقية وإلى أي حد يمكن أن تستمر؟

سنة 1991 قلت أنني لا أخشى على العراق، لأنه يتوفر على تاريخ أصيل، ولديه كرامة حقيقية للإنسان في الأدب والشعر والعمل، بلاد أدت ثمنا غاليا حتى الآن (ما يقرب الملايين من الضحايا) وخضعت لقيادات متوالية غير ديمقراطية، لكنهم فهموا اليوم ماهي الدكتاتورية الحقيقية وما هو العنف، العراق كبلد كان مستهدفا منذ الحرب الحضارية الأولى، خصوصا وأنها تقدمت في ميدان التربية والتعليم والخلق والإبداع والبحث العلمي، ولا ننسى أن كل المسؤولين السابقين الذين جاءوا لمحاربة الإسلام اضطروا إلى أن يضعوا في راية العراق شعار الله أكبر، وكان التخوف في الغرب أن الحركة الإسلامية الموجودة في العراق ستكون قوة أساسية في المقاومة وهم يخشون من إمكانيات البلد التي قد تمس بإسرائيل، لهذا فهم ضربوا مباشرة العراق، وأنا لا أخشى على العراق لأن المقاومة آتية وستدوم على الأقل خمس سنوات، وهناك عدة متغيرات في البلد منها الموقف الإسباني الذي بدأ بالانسحاب، وهو ليس مرتبطا فقط بهجمات مدريد، ولكن أيضا بسبب الأوضاع في العراق، وهناك دول أخرى تنحو نفس المنحى.

هل تثقون في خطاب رئيس الوزراء الجديد؟

أنا لست إسبانيا، ولو كنت كذلك لأجبت على هذا السؤال، وأقول أن هذا التغيير هو إيجابي، لأن النظام السابق كان خبيثا، على مستوى الديمقراطية، إذ أن 90% من الشعب الإسباني كان ضد التدخل العسكري، ومع ذلك هناك حكومة دخلت الحرب. ولكن أقول أنه لا يمكن أن نضع آمالنا في التغييرات التي تقع في الخارج، فالحكومة الإسبانية الجديدة دورها الأساسي هو الدفاع عن الشعب الإسباني وعن موقع إسبانيا وعن مصالحها بأي ثمن كان، وهي لم تنتخب من قبل الشعب المغربي، وخطئنا دائما أننا ننتظر التغيير من الآخر، مع أنه يجب أن نفهم أن التغيير يأتي من أنفسنا فهناك مصالح واحترام متبادل، وهو غير ممكن في ظل الوضعية السياسية الحالية لبلداننا.

ونفس الفكرة مع الجزائر؟

أنا أدخل إلى الجزائر وكأنها بلدي، ولكن من الصعب أن أتحدث عما حصل، لذلك أفضل عدم الحديث عن ذلك.

ولكن هل بوتفليقة قادر على إصلاح الأخطاء السابقة؟

هناك فرق كبير، فلما نتحدث عن إسبانيا وعما حصل هناك من ديمقراطية وتمثيل لمصالح شعب كامل ومصداقية التمثيل فهي أمور لا نجدها لدينا في العالم العربي. فهناك الأشخاص قد تلعب دورا طبعا، ولكن الأمور تهم مصالح عليا للوطن وهو ما نفتقد إليه.

كيف تعلقون على خبر الوزير الشاذ؟

هذا تصرف لا أخلاقي لا أريد الخوض فيه وأفضل حذفه نهائيا.

بعد سنة من الهجمات الإرهابية على الدارالبيضاء هل تغير الوضع الأمني وهل هناك إمكانية لاحتواء مثل هذه السلوكات؟

ليست لدي معلومات كافية للإجابة على هذا السؤال، لكن أقول أن الذي يجب أن يتغير قبل أن تتغير الأوضاع الأمنية هي الوضعية الاجتماعية والثقافية في البلاد، وهو شيء شبه مستحيل إذ أن جميع التقارير حول العالم الثالث ومنها المغرب تؤكد أن الفجوة بين الأغنياء والفقراء تتسع أكثر والخلاصة هي أن نجتهد لعدم تكرار ما حصل وهو ما نتمناه، وأقول لكم شيئا لم أقله لأحد من قبل، بعد مقالي حول أحداث 16 ماي الأخيرة ونهاية مقولة أننا مميزين على المستوى الأمنيكان أول من اتصل بي عبر الأنترنيت ابن أحد الضحايا، ولم أعرفه شخصيا، وقال لي في الظروف الحالية التي أعيشها الوحيد الذي أتوجه إليه لينصحني هو أنتم، وفعلا التقيت به وتحدثنا وتراسلنا، وقبل أسبوعين اتصل بي أخ هذا الشاب وهو مقيم بالخارج وطلب رؤيتي، وهذه شهادة تكفيني، لكن أحيانا نجد أن الأمثال الشعبية لها دور بالغ وأتذكر هنا مثل مغربي يقول "مالين الدار صبروا والمعزين كفروا" فأنا حضرت الذكرى المائوية لوفاة غاندي وفي حياتي لم أصطد، وكنت دائما أنادي بالسلم ولم أستعمل العنف أبدا، والحقيقة أن مستعملي العنف هم أول من يتحدث ضد العنف.

هل تثقون في مستقبل المغرب؟

أعتقد أنه لا مستقبل للمغرب والجزائر وتونس وموريطانيا بدون وحدة، لأن العالم الآن مبني على أساس الحد الأدنى من تراكم المداخيل والتجارة، واقتصاديا أي منطقة لا تتوفر على سوق فيها على الأقل 300 مليون نسمة فهي لا مستقبل لها ولا يمكن أن تدخل في ميدان التكنولوجيا الحديثة أو تنافس الآخرين إلا إذا كانت سوقا استهلاكية. وبالتالي فليس لنا خيار سوى الوحدة أو التبعية لأمريكا أو السوق الأوروبية المشتركة.

بعد المنع الأخير لمحاضرتكم بالدارالبيضاء، القراء يتساءلون هل المهدي تصالح مع نفسه أم مازال مصرا على موقفه؟

أنا دائما متصالح مع نفسي وهو ما أدى إلى أن أتخذ هذا القرار، واحتراما لنفسي، وأنا الآن بصدد كتابة مؤلف جديد سيصدر قريبا، وألقي محاضرات في الخارج للجالية المغربية، إذ هناك إنتاج وأتصل يوميا، وأنشر عبر الأنترنيت إذن ليس هو هذا المشكل ولكنه عاطفي بالدرجة الأولى نحو بلدي، وأنا أتساءل لماذا هذا الفساد داخل بلدي، ولماذا أفراد معينين ليسوا أعضاء حزبيين يتم منعهم.

كيف تعلقون على كأس العالم 2010 وهل للمغرب حظوظ؟

اسمح لي أن استعمل عبارة رياضية للجواب على هذا السؤال وهي "أنا كنعلق السباط"

حاوره: م.و